﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التّوحيدُ دعوةُ كلِّ نبيٍّ

لمّا كان التَّقديرُ بياناً لِما في الذِّكرين: (ولو أقبلوا على الذِّكر لَعلموا أنّا أوحينا إليك في هذا الذِّكرِ أنَّه لا إله إلّا أنا، وما أرسلناك إلا لِنوحيَ إليك ذلك)، عطف عليه هذه الآيةَ لتقريرِ المعنى، وللإيذانِ بأنَّ التّوحيد دعوةُ كلِّ نبيٍّ[1] فلَمّا أظْهَرَ لِرَسولِه أنَّ المُعانِدينَ لا يَعْلَمونَ الحَقَّ لِإعْراضِهِم عَنْ تَلَقّيه أقْبَلَ على رَسولِه ﷺ بِتأْييدِ ما قرّره الذّكر الذي معه والذّكر الذي جاء قبله بتعميمه في شرائع سائرِ الرّسل سَواءٌ مَنْ أُنْزِلَ عليه كِتابٌ ومَنْ لَم يَنْزِلْ عليه كِتابٌ، وسَواءٌ مَنْ كانَ كِتابُهُ باقيًا مِثْلَ موسَى وعيسَى وداوُدَ ﷺ ومَنْ لَم يَبْقَ كِتابُهُ مِثْلَ إبْراهيمَ ﷺ فأخبر أنَّه ما أرسل من رسولٍ إلّا جاءَ مقرّرًا لتوحيد اللّه، وإفرادِه بالألوهيَّة، والأمر بعبادتِه سبحانه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُوحِيٓ﴾: (وحي) أصلٌ يَدُلُّ عَلى إلقاءِ عِلمٍ بسرعةٍ في إخفاءٍ أو غَيرِه إلى غَيرِكَ، فقد يكون بإشارةٍ ببعضِ الجوارحِ، فالوحيُ الإشارةُ السّريعةُ، وقد يكونُ الوَحْيُ بكتابٍ أو رسالةٍ أو بسماعِ كلامٍ أو بنفثٍ في الرّوعِ أو غرزٍ في الطّبع، وكُلُّ ما أَلْقَيْتَهُ إلَى غَيْرِكَ حَتَّى عَلِمَهُ فهوَ وحْيٌ كَيْفَ كانَ، و﴿نُوحِيٓ﴾ في الآية بمعنى ما يُلقيه اللّه تعالى من عندِه إلى الرّسل عن طريق جبريل ﷺ[3].

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 407.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 422، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 48.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وحي).

2) ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾: (عبد) أصْلٌ يَدُلُّ على الحصرِ والتّذليل، ومنه ما عَبَدك عَنّي، أي: ما حَبَسك، وطريقٌ معبَّدٌ، أي: ممهّدٌ مذلَّلٌ، والعُبوديَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبادَةُ أبلغُ منها؛ لأنها غاية التّذلّل بحيث يكون تذلّل العبدِ محصورًا لعابدِه، ولا يستحقّ العبادةَ إلّا من له غايةُ الإفضال، وهو الله تعالى ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، وعَبَد الله عبادة: تألّه له، أي: جعل نفسه مملوكًا، وعَبْدًا لله بهذا التألّه، والعِبادَةُ في الاستعمالِ القرآني، ضربان: عِبادَةٌ بالتّسخير، وهو الذي يكون بسجود المخلوقاتِ طوعاً، وكرهاً، وعِبادَةٌ بالاختيار، وهي لذوي النُّطق، وهي المأمور بها في نحو ما جاء في الآية في قوله: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ الله تعالى لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: وما أرسَلْنا مِن قَبْلِك - يا محمد ﷺ - مِن رَسولٍ إلى أمّة منَ الأمم إلّا نوحي إليه أنَّه لا مَعبودَ بحَقٍّ إلّا اللهُ، فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهيَّةَ[2].

أصلُ العبادة إفرادُ الله تعالى بالألوهيَّةِ والإخلاصُ له في العمل

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالواو في الآية:

جاءت الآية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ معطوفةً على قولِه تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾ [الأنبياء: 24]؛ لأنَّ الكلامَ من عطفِ الخبر على الخبر، وللاشتراكِ في الجهة الجامعة، أي: تعاقب الرّسل جميعًا على الأمرِ بتوحيدِ الله، والنّهي عن الإشراكِ به ﷻ وهذِه العَقيدَةُ مِنْ تَوْحيدِ الله لَم تَخْتَلِفْ فيها النُّبوّاتُ، وأنَّ كلَّ

عقيدةُ الأنبياء جميعًا واحدةٌ، والشّرائعُ مختلفةٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عبد).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 427.

رسولٍ بلَّغ قومَه بتوحيد اللّه تعالى، وإنّما وقع الاختلافُ بين الأنبياء في أشياء منَ الأحكام[1].

دلالةُ النّفي بـ﴿وَمَآ﴾:

أسلوبُ التّأكيد يُستعملُ مع المعاندين لإثباتِ كذبِهم وصدقِ المدّعي

لمّا كان (ما فعل) نفيًا لـ(لَقد فعل)[2] دلَّ النّفيُ في قولِه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ على أنَّه ردٌّ على تكذيب المشركين لرسولِ اللّه ﷺ في أنَّه لم يوحَ إليه، وعلى تكذيبِهم له ﷺ بأنْ يكون اللّه تعالى فلمّا كذّبوا وعاندوا وأصّروا، جاء النّفي بـ﴿وَمَآ﴾ لجوابِهم وللرَّدِّ عليهم بطريق التأكيد بسبب عنادِهم وإصرارِهم على التّكذيب.

الغرضُ منَ القصر في الآية:

كلُّ ما يبلّغُه الرّسلُ دائرٌ على توحيد الله وتخصيصِه في العبادة

دلَّ القصرُ بـ﴿وَمَآ﴾ و﴿إِلَّا﴾ في قولِه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ على أمرين: أحدهما تقريرُ إرسالِ اللّه تعالى للرّسل، فكأنَّ إرسالَهم ممّا لا ينبغي الشّكُّ فيه والثّاني تخصيصُ إرسال اللّه للرّسل بالوحي إليهم بتبليغِ التّوحيد وإفرادِ اللّه تعالى بالعبادة، لا يتجاوزُ إرسالُهم إلى أمرٍ آخر، ليفيدَ أنَّ كلَّ ما يبلّغونَه قائمٌ على توحيدِ اللّه وإفرادِه بالعبادةِ، وأفادَ القصرُ دفعَ ما قد يتوهّمُه المخاطَبون مِنْ أنْ يكون إرسالُ الرّسلِ لأمرٍ آخرَ، وتقريرَ ما يبلّغون به من أمرِ التّوحيد وتخصيصِ العبادة له تعالى، فالقصر قصرُ إفرادٍ.

دلالةُ التّعبير بطريق النّفي والاستثناءِ في أسلوبِ القصر:

الخطأُ في العقيدة قبيحٌ وأقبحُ منه الإصرارُ عليه

أفاد القصرُ بطريق النّفي بـ﴿وَمَآ﴾ والاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أنَّ المشركين قدِ ارتكبوا الخطأ وأصرّوا عليه، فهو تنبيهٌ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 133، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 49، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 422.

(2) سيبويه، الكتاب: 3/ 117.

لهم على خطئهم وتقريعٌ على إصرارِهم، ذلك أنَّ النّفي والاستثناءَ هو الطّريق الأوفى لمواجهة ما يُنكره المخاطَبُ.

معنَى ﴿مِن﴾ ودلالتُها في ﴿مِن قَبْلِكَ﴾:

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ للابتداء، ولمّا دخلت على ظرف الزّمان أفادت تعيينَ ابتداءِ الوقتِ، بمعنى أنَّ جميعَ الرّسل ابتداءً من قبلِك قد أوحى اللّه إليهم بتبليغ قومِهم أمرَ التّوحيد وإفرادِه بالعبادة، لتفيد النّصَّ على عيسى وموسى عليهما السلام، فدلّت ﴿مِن﴾ على أنَّ الإشعارَ بأنَّ أمرَ توحيد اللّه تعالى وتبليغِه وإفرادَه بالعبادةِ قد كانَ قريبَ العهدِ بالمخاطَبين[1].

اللهُ تعالى يُرسلُ الـرّسـلَ عـنـدَ حـاجـةِ الـنّـاس إليهم

سرُّ إضافة الظّرفِ إلى ضميرِ الخطابِ:

لم يقل (وما أرسلنا من قبل من رسولٍ) بل قال ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ للنَّصِّ على رسالتِه ﷺ كما أنَّ في ذكر كافِ الخطابِ تشريفًا له ﷺ بمخاطبةِ اللّه تعالى له.

ما جاء به رسولُ الله ﷺ هو عينُ مـا جـاءت بـه الرّسل من قبلِه

الغرضُ من تقديم الجارِّ والمجرور على المفعول:

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ على المفعول ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ للعناية بالظّرف والاهتمامِ به بتقريرِ معنى القبليَّة؛ والاتّحادِ في المقصود منَ الرسالات.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتُها في ﴿مِن رَّسُولٍ﴾:

﴿مِن﴾ حرفُ جرٍّ مزيدٌ لتوكيدِ النّفي وللنّصِّ على العموم، بمعنى أنَّ جميعَ الرّسل جاؤوا بتبليغِ التّوحيد وبالأمرِ بإفرادِ اللّه تعالى بالعبادةِ.

الغرضُ من تنكير ﴿رَّسُولٍ﴾:

لمّا جاء لفظُ ﴿رَّسُولٍ﴾ نكرةً في سياقِ النّفي في قولِه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا

كـلُّ المـرسـلـين جاؤوا بالتّوحيد

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 407.

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ أفادَ النّصَّ على العموم، كما أنَّ التّعبير باللّفظ المفردِ ﴿رَّسُولٍ﴾ إيذانٌ أنَّ الحكمَ المذكور قد أوحيَ إلى كلِّ فردٍ منهم عليهم الصّلاة والسّلام، فيكونُ أبلغَ في تقريرِ المعنى وبيانِه.

نكتةُ التّعبير بلفظ ﴿نُوحِيٓ﴾:

الموحى إلى الرّسل علمٌ متحقَّقٌ، لا شُبهةَ فيه ولا شكَّ

أفاد التّعبير بلفظ ﴿نُوحِيٓ﴾ في قوله ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أنَّ التّبليغَ بالرّسالةِ يكون في خفاءٍ وأنَّه يكون من عندِ الموحي، وأنَّ الموحَى إلى الرّسل هو علمٌ متحقَّقٌ، لا شبهةَ فيه ولا شكَّ.

دلالةُ التّعبير بالمضارع في ﴿نُوحِيٓ﴾:

عبَّرَ بصيغة المضارع ﴿نُوحِيٓ﴾ لحكايةِ الحالِ الماضية استحضارًا لصورة الوحي[1]؛ إظهارًا لمنَّةِ الله تعالى على الرّسلِ، وعلى النّاس، ولتقريرِ المعنى في نفسِ المخاطَب.

سرُّ إسنادِ الفعل إلى الضّمير الدّالّ على التّعظيم ﴿نُوحِيٓ﴾:

تعظيمُ الوحيِ وتعظيمُ الموحَى إليه من تعظيمِ الله تعالى

عبَّرَ بنون العظمة في قوله: ﴿نُوحِيٓ﴾ للإشعار بأنَّ الإيحاء إلى الرّسل لا يقدرُ عليه إلّا الله تعالى الملك الواحدُ الأحدُ، وفيه تنبيهٌ على تعظيم الوحي وتعظيم الموحى به، كما أنَّ في التّعبير بنون العظمة مناسبةً مع قولِه ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾[2].

دلالةُ التّقييد بجُملةِ الحال:

الوحيُ بتوحيد الله وإفرادِه بالعبادة مقترنٌ بإرسال الرّسل

لمّا كان الحالُ يأتي لبيانِ هيئةِ صاحبِه بمعنى وصفِه وكان مقترنًا معه في الوقتِ وكانت جملةُ ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ حالًا[3] من فاعل ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، أفادَتِ الجملةُ هنا أنَّ الإيحاء بتوحيدِ الله تعالى وتبليغِه والأمرِ بإفرادِه تعالى بالعبادةِ مقترنٌ بإرسالِ الرّسلِ كلِّهم غيرُ منفكٍّ عنه، تعظيمًا لشأنِ التّوحيدِ واهتمامًا بشأنِه.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 63.
(2) العليمي، فتح الرحمن: 4/ 350.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 49.

الغرضُ من تقديم الجارِّ والمجرور على المفعول به:

الوحي يكون لمن اصطفاه الله تعالى من عبادِه لتبليغِ الرسالة

بعدَ تتبُّعِ الفعل ﴿نُوحِيٓ﴾ وما جاء من مادّتِه في القرآن الكريم، وجدنا أنَّه لم يردْ إلّا بتقديم الجارِّ والمجرور على مفعولِه سواءً أكان مفعولُه مصدرًا مؤوَّلًا أم اسمًا صريحًا، ونكتةُ تقديم الجارِّ والمجرور على المفعول مع فعلِ الإيحاء في قوله: ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، هو أنَّه لمّا كان الوحيُ بمعنى الإشارة الخفيَّة السّريعة، وكان هذا المعنى يقتضي تخصيصًا بمن يكون له هذا النّوعُ من الإشارة اقترن الجارّ (إلَى) مع مجروره بفعلِ الإيحاء وتقدَّم على مفعولِه في جميعِ التّراكيب البليغة، ليفيدَ هنا تخصيصَ الرَّسولِ بالموحَى به دونَ غيرِه من سائرِ النّاس، كما أنَّ في التّقديم تشريفًا، وعنايةً، واهتمامًا بالرّسولِ الموحى إليه، بمعنى لأنَّه تعالى اصطفاه أوحى إليه ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ في ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾:

تكاملُ المعاني في القراءاتِ بين تعظيمِ شأنِ الوحي والمُوحي، وشأنِ المُوحَى إليهم

قرأ حفصٌ عن عاصمٍ وحمزة والكسائي وخلف: ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ بالنّون وكسر الحاء، وقرأ الباقون: ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بالياء، بفتح الحاء على ما لم يُسمَّ فاعلُه[1]. فمن قرأ: ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ بالنّون، فالفعل لله ﷻ، أي: نحن نُوحي إليه، ويكونُ إسنادُ فعل الإيحاءِ إلى ضمير العَظَمة؛ لتعظيم شأنِ الوحي، وشأنِ مَن أوحَى إليهم، ومَن قرأ: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ فلتفخيم شأنِ المُوحَى إليهم، فالمعنى واحدٌ ومتقاربٌ[2]. ومن بلاغة القراءات هنا أن إحداهما إجابةٌ عن سؤال مقدَّر في الأخرى. فقراءة الفعل على ما لم يُسم فاعله تطرح سؤالا: مَن الذي يوحي إليهم؟ فكانت الإجابة في القراءة الأخرى مصرحة بأن الله ﷻ هو الذي يوحي إليهم، وهي التي دل عليها

(1) ابن الجزري، النشر: 2/296.

(2) الأزهريّ، معاني القراءات: 2/ 163، وابن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص: 428.

الفعل ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾. وقد صرح الحق ﷻ بالموحَى إليه هنا: وهي كلمة التوحيد؛ لأنه صرح بالرسول، ففيه نوع من الخصوصية. فالمصدر المؤوّل ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ في محلّ جرّ بحرف جرٍّ محذوف هو الباء متعلّق بـ: (نوحي) أي: (نوحي إليه بأنّه لا إله إلا أنا). أما في الآية الأولى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأنبياء: 7] ففيها عموم فناسب حذف المفعول به.

فائدةُ التّعبير بالمصدر المؤوّل:

عبّرَ بالمصدرِ المؤوّل دون المصدر الصّريح الدّالِّ على معنى التّوحيد في قولِه ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ الموحى به إلى جميعِ الرّسل هو توحيدُ اللّه تعالى نفسُه، مع ثباتِ هذا المعنى، ليفيدَ أنَّ توحيدَه ﷻ أمرٌ ثابتٌ تصوّرُه دون احتمال معنًى زائدٍ عليه، فلا يختلف معنى التّوحيد من رسولٍ إلى رسولٍ آخرَ ولا من زمنٍ إلى زمنٍ، ففي المصدر المؤوّل تحصينٌ من الإشكال وتخليصٌ له من شوائب الإجمال[1].

لا يختلفُ معنى التّوحيد من رسولٍ إلى رسولٍ آخرَ، ولا من زمنٍ إلى زمنٍ

دلالةُ التّوكيد بـ(أنَّ):

أفادت (أنَّ) في قولِه ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ تأكيدَ مضمونِ الجملة، لتقريرِ معنى توحيدِ اللّه في نفوس الرّسل الموحى إليهم بهذه الكلمة.

فائدةُ التّعبير بضمير الشّأنِ في قولِه ﴿أَنَّهُۥ﴾:

لمّا كان المقامُ مقامَ تفخيم وتعظيم، فالموحي هو اللّه تعالى الملكُ العظيم، والموحَى إليه هو المرسَلُ من اللّه، والموحَى به هو كلمةُ التّوحيد التي هي أعظمُ كلمةٍ مع الأمرِ بإفرادِ العبادةِ له سبحانَه فلمّا كان المقامُ ما ذُكِرَ عبّرَ بضمير الشّأنِ في قولِه

التّعبير بضمير الشّأنِ لتهيئةِ المخاطَبِ إلى حسنِ التّلقّي لعظمِ شأنِ الخبر

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد: 1/ 93.

﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ للإيذانِ بعظمِ ما يُذكَرُ بعد الضّمير لتهيئةِ المخاطَبِ إلى حسنِ تلقّيه، والإصغاء إليه، كما أنّه لمّا كانت جملةُ الخبرِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ مفسّرَةً للإبهام في ضمير الشّأنِ كان الكلامُ على طريق التّفسير بعدَ الإبهامِ، والقصدُ منه تعظيمُ الخبرِ وتفخيمُ شأنِه[1].

إيثار اختيارِ النّفي والاستثناءِ طريقا للقصر:

ضـلالُ كـلِّ من أنكرَ عبادةَ الله أو أشرك به غيرَه

عُبِّرَ عن إثباتِ ألوهيَّة الله تعالى وتوحيدِه بأسلوب القصر بالنّفي والإثباتِ في قولِه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ للتّأكيد وللإيذانِ بأنَّ المشركين في جميعِ الأمم مخطئون في شركِهم، وأنَّهم مصرّون على خطئِهم في إنكارِ ألوهيَّة الله تعالى وتوحيدِه، وأنَّ الحقَّ في أن يعتقدوا توحيدَ الله تعالى وأنَّه المتفرِّدُ باستحقاقِ العبادةِ.

نكتةُ مجيء المقصور عليه بصيغة ضميرِ المتكلِّم ﴿أَنَا۠﴾:

الـكـلامُ في أمـور التّوحيـد يكون مُحكمًا لا شُبهةَ فيه

عبِّرَ بضمير المتكلِّم المفرد ﴿أَنَا۠﴾ في قولِه ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، ولم يجرِ الكلامُ على ما سبقَ من التّعبير بنونِ العظمة، فلم يقل: (أنَّه لا إله إلّا نحن) لئلا يجعلوا ذلك وسيلة إلى شبهةٍ، وهي ما ادّعوه من تعدّدِ الآلهة، ولذلك قال ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ بالإفراد[2].

معنى الفاء ودلالتُها في ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾:

كـلُّ عبادة فيها شوبُ شركٍ هي عدمٌ

الفاء في قولِه ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ تفريعيَّةٌ، ولمّا فرَّع فيما أوحى إلى الرّسل الأمرَ بعبادتِه على الإعلانِ بأنَّه لا إله إلّا هو سبحانه أفاد التّفريعُ أنَّه تعالى هو وحده المستحقُّ للعبادةِ، وأنَّ الإشراك على أيِّ صورة من صُوَرِه ليس فيه عبادةٌ لله تعالى[3]، فكانَ تقديم نفي الألوهيَّة عن كلِّ شيٍ، وإثباتُه لله تعالى كالدّليل والحجَّةِ الذي يترتّب

(1) الرضي الاستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب: 3/ 69.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 407، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/ 502.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 49، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4851.

عليه وجوبُ إفرادِ الله تعالى بالعبادة، فتُرِكَ التَّصريحُ بالأمرِ بتخصيصِ العبادة لله تعالى لفهمه من المقام، وسياق الكلامِ[1].

معنَى الفاء ودلالتُها في قولِه ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾:

أمرُ التّوحيدِ لا يحتاجُ إلى طلبٍ لوضوحِه وظهورِ دلائلِه

لمّا كانت الفاء عاطفةً وكان المعطوفُ في قولِه ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ طلبًا بصيغة الأمرِ أفادَ أنَّ قولَه ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ على معنى نوحي إليه الأمرَ بتوحيدِ الله والأمرَ بتبليغِه، فحَسُنَ العطفُ وانتظمَ المعنى، ونكتةُ عدمِ مجيءِ معنى التّوحيد بصيغة الأمرِ ومجيئِه بصيغة الجملةِ الاسميَّة الدّالَّةِ على الثبوتِ بيانُ أنَّ تقريرَ أمرِ التّوحيدِ لا يحتاجُ إلى طلبٍ لوضوحِه وظهورِه.

بلاغةُ الالتفات من الإفرادِ إلى الجمع في قولِه ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾:

مناسبةُ التّوحيد للإفراد ومناسبةُ العبادة للجمعِ لـلإشـارةِ إلى الاجتماعِ عليها

عُبِّرَ بالمفرد في الموحى إليه، فقال تعالى ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ لعودِ الضّمير في ﴿إِلَيۡهِ﴾ على لفظ ﴿رَّسُولٍ﴾ ثمَّ عُدِلَ إلى الجمعِ في قولِه ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾، ولَم يَأْتِ التَّرْكيبُ (فاعْبُدْني)، فجاء على طريقِ الالتفات؛ لأنَّه لمّا كانَ ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ عامًّا لَفْظًا ومَعْنًى[2] لمجيئِه في سياقِ النّفي، أُفرِدَ على اللَّفْظِ في قَوْلِه ﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ للاهتمامِ بأمرِ التّوحيدِ، ولتقريرِه على كلِّ فردٍ من الرّسلِ ﷺ ثُمَّ جُمِعَ على المَعْنَى في قَوْلِه ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ للتنّبيه إلى شأنِ الاجتماعِ على العبادةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العبادة والطاعة:

العبادة هي تذلّلٌ يـرادُ بـه تعظيمُ الله تعالى وحده والـطّـاعـةُ هي موافقةُ أمرِ المُطاعِ والامتثالُ له

الفرق بينهما هو أنَّ العبادةَ غايةُ الخضوع، ولا تُستحَقُّ إلا بغايةِ الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يُعبد غيرُ الله تعالى ولا تكون العبادةُ إلّا مع المعرفة بالمعبود، وأمّا الطّاعة فهي الفعل الواقعُ على حسب ما أراده المريدُ متى كان المريدُ أعلى رتبةً ممَّنْ يفعل ذلك، وتكون

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 407.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 422.

الطاعةُ للخالق والمخلوق، والعبادةُ لا تكون إلّا للخالق، والطّاعةُ في مجاز اللّغة هي اتِّباعُ المدعوِّ الدّاعيَ إلى ما دعاه إليه، وإن لم يقصد التَّبعَ، كالإنسان يكون مطيعًا للشَّيطانِ، وإن لم يقصد أن يطيعَه، ولكنَّه اتَّبعَ دعاءَه وإرادته[1] كما أنَّ العبادة هي خضوعٌ وتذلّلٌ، وهي فعلٌ لا يرادُ به إلا تعظيمُ الله تعالى بأمره، وإذا ذُكرت الألوهيَّة ناسبها ذكرُ العبادة؛ لأنَّ العبادة تذلّلٌ للإله، وأمّا الطّاعة فهي موافقةُ أمر المطاع والامتثالُ له، وإذا ذُكر الأمرُ ناسبه ذكرُ الطّاعة؛ لأنَّ الطّاعة موافقةُ أمر الآمرِ، والطّاعَةُ تُستَعمل لموافقة أمر الله وأمرِ غَيره، والعِبادَة تَعْظيمٌ فلا تكون إلّا لله[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 221.
(2) الكفوي، الكليات، ص: 583.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»